«أنا هو القيامة»

(١١: ١-٤٤)

تأليف: بروس مكلارتي

لا أدري كيف فعل إرميا النبي ذلك! تقريباً كلما وقف نبي العهد القديم هذا للوعظ، كلما قل عدد مستمعيه. الحقيقة التي دُعِيَ إرميا ليبشر بها كانت كلها تقريباً اخبارا غير سارة بسبب الزمان الذي عاش فيه. فقد تدهورت إسرائيل إلى أدنى مستوى في عمل الشر، وقرر الله أن يرسلهم إلى العبودية في بابل. كان الخبر الذي أتى به إرميا لإسرائيل هو ان «يتناولوا جرعتهم» ويقبلوا دينونتهم بسلام. ونتيجة لذلك أبغضه الشعب وتمنوا له الموت!

الخبر غير السار

بداية هذه الدراسة من الأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا تجعل مبشر اليوم يشعر كما شعر إرميا حينذاك. بينما يحتوي هذا النص على بعض الأخبار السارة، إلا انه يتطلب ان نواجه شيئا قد لا نرغب في مواجهته. الحقيقة المؤلمة هي اننا جميعاً سنموت! فالموت غاية كل حي. قد نكون الآن شباباً وأقوياء وبصحة جيدة، ولكننا سنموت في يومٍ ما! قد نموت اليوم أو غداً أو بعد ثمانين سنة من الآن، المهم هو اننا سنموت جميعنا.

نحاول بشتى الطرق تجنب مواجهة هذه الحقيقة المرعبة. نحاول ان نقنع أنفسنا باننا إذا كنا نقوم بتمرين كافية ونتاول الغذاء المناسب ونتجنب المخاطر ونشرب الماء النقي ونرتدي نظارات شمسية عندما نخرج إلى الخارج، فاننا سنجد حماية من الموت. ولكن في آخر المطاف لا شيء يقينا من الواقع الذي يقول ان نسبة الوفيات في هذا العالم هي ١٠٠ ٪!

ربما تفكر: «لا أريد ان أسمع هذا اليوم! كان الاسبوع الماضي قاسياً والآن يقال لي باننـي سأموت!» لن اتطرق إلى مثل هذا الموضوع المؤلم والمحزن لو لم يعطي الإنجيل حلاً له. يعلن يسوع في الأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا لجميع الذين عاشوا في كل العصور قائلاً: «أنا هو القيامة والحياة». ان هذا خبر سار، ولكن يجب ان نتذكر دائما ان هناك خبر غير سارا أولاً حتى نستطيع تقدير هذا الخبر السار.

هرب يسوع وتلاميذه من اليهودية وعبروا نهر الأردن إلى المكان الذي كان يوحنا المعمدان يعمد فيه (١٠: ٤٠). فجاء الخبر في أحد الأيام بان لعازر الذي كان من بيت عنيا قد مرض (١١: ١). ربما كان كل شخص يعتقد بان يسوع سيذهب إلى بيت عنيا حالاً لأن لعازر واختيه مرثا ومريم كانوا من أعز أصدقاءه. ولكن بقي يسوع حيث كان ليومين آخرين لأسباب يعرفها هو وحده حينذاك. وأخيراً قال لتلاميذه وهو عالم بان لعازر قد مات انه قد أتى الوقت لزيارة صديقه المريض. لقد رفضوا هذه الفكرة أولاً لأنهم كانوا يعلمون بان الاضطهاد واحتمال الموت كان في انتظارهم جميعاً إذا ما وُجِدوا بالقرب من أورشليم مرة أخرى، وكانت بَيت عنيا تبعد

بمسافة ميلين فقط من هناك (١١: ١٨).[1] ولكن عندما قال لهم يسوع بان لعازر قد مات، وافقوا بتردد على الذهاب – كما قال توما ليموتوا معه (١١: ١٦).

عندما اقترب يسوع من القرية وقبل ان يدخلها (١١: ٣٠)، سمعت مرثا بانه آتياً فأسرعت للقاءه. قالت له: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي» (١١: ٢١). يمكن ان يحس الجنس البشري كله كما كانت تحس مرثا، التي كانت بلا عون في مواجهة الموت. تذكرنا المآتم بطريقة ما بان أفضل مجهوداتنا لا تقدر ان تحمينا من قوة الموت الجبارة.

أجاب يسوع مرثا قائلاً: «سيقوم أخوك» (١١: ٢٣). نحن لا ندري كيف كان معنى هذه العبارة بالنسبة لها. هل كانت مؤلمة؟ هل كانت مثل الكثير من الكلمات التي لا معنى لها والتي قد يسمعها الشخص أحياناً في المآتم؟ هل كانت كتوبيخ لعدم إيمانها؟ مهما كان رد فعلها الأول لكلمات يسوع، وضعتها مرثا في المفهوم الروحي وقالت: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» (١١: ٢٤).

الخبر السار

نطق يسوع في هذا النص بأكثر الكلمات في خدمته كلها التي تغير العالم، إذ قال لمرثا: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (١١: ٢٥ و٢٦). من الأهمية ملاحظة ما لم ينطق به يسوع. انه لم يقل: «سأقيم لعازر من الموت»، ولم يقل: «ساختبر القيامة أنا أيضاً»، بل عبر عن أكثر بكثير من هذه الأفكار عندما صرح: «أنا هو القيامة والحياة». نجد هنا مرة أخرى العبارة «أنا هو» في إنجيل يوحنا. بهذا كان يسوع يدعى مرة أخرى بألوهيته، وفي الوقت نفسه يصف علاقته بذلك العدو العظيم، أي الموت.

عندما قال يسوع بانه القيامة، لم يكن يعد بان أتباعه لن يواجهون الموت الطبيعي، ولا كان يوعد بانه لم يواجه الموت أبداً. وإنما كان يدعي انه بسبب موته وقيامته، وتحطيمه لقوة الموت لا تكون لأتباعه فيما بعد العلاقة نفسها مع الموت مرة أخرى. ستكون القيامة بالنسبة إليهم أكثر بكثير من مجرد حدث عجائبي تم ذات مرة؛ ستكون هذه حقيقة جديدة في الحياة.

تعكس كلمات مرثا التالية إيماناً عظيماً يدل على فهم عميق للأمور الروحية. عندما سألها يسوع ما إذا كانت تؤمن بما قاله، أجابت: «نعم يا سيد، أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (١١: ٢٧). حتى قبل ان تشاهد المعجزة العجيبة التي كان حدوثها وشيكا أظهرت مرثا نوع الإيمان الذي جاء إنجيل يوحنا ليوجده!

بعد لقاء مرثا مع يسوع، عادت إلى البيت لتخبر اختها بوصول الرب. عندما سمعت مريم بان الرب كان قريب من هناك أسرعت لتلاقيه. وعندما وجدت يسوع، ارتمت على قدميه ورددت كلمات اختها المؤلمة: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي» (١١: ٣٢). كلنا قد اختبرنا أوجاع ومآسي وأحزان وإحباط كما اختبرتها مريم في تلك اللحظات. ونتيجة لذلك نحن كلنا مستعدون للذهاب مع يسوع إلى قبر لعازر.

وبسبب كل ما رآه يسوع في ذلك اليوم «انزعج بالروح» (١١: ٣٣). فسأل أين دفنوه. وبينما كانوا في طريقهم إلى القبر بكى يسوع مع الباكين الاخرين (١١: ٣٥). تعجب الذين كانوا واقفون من هناك وقالوا: «انظروا كيف كان يحبه!» (١١: ٣٦).

كان القبر الذي وضع فيه جسد لعازر بمثابة كهف وضع على بابه حجرا كبيرا (١١: ٣٨). عندما طلب منهم يسوع ان يرفعوا الحجر اعترضت مرثا وقالت بان لعازر قد مات منذ أربعة أيام وبان جسده قد انتن. قال لها يسوع ان تؤمن به، فرُفِع الحجر عن باب القبر (١١: ٣٩-٤١).

من بين كل «الآيات» التي وردت في إنجيل يوحنا ليست هناك آية أعظم مما حدث عند

[1] خمس عشرة غلوة: نحو ميلين.

قبر لعازر. قال يسوع ثلاث مرات في الأصحاح الحادي عشر بان هذه الاحداث قد جرت لكي يرى الناس «مجد الله» (١١: ٤ ، ١٥ ، ٤٠). لقد رأينا في خطوة على الطريق مجد الله في تعاليم يسوع ومعجزاته؛ ولكن حتى هذه المرحلة من إنجيل يوحنا فان إقامة لعازر من الموت هي المكان الذي فيه يظهر مجد الله (أي وجود الله في المسيح) بأكثر لمعاناً. كأننا نقرأ هذا الإنجيل بمصباح له مفتاح يمكن ان يجعل النور أكثر او اقل لمعانا. كلما تقدمنا في إنجيل يوحنا، كلما ازداد النور لمعاناً. وبوصولنا الى الأصحاح الحادي عشر يكاد النور ان يؤثر في أبصارنا من شدة اللمعان. لقد رأينا مجد الله معلنا بعدة طرق، وسنراه بقوة أعظم في الآيات القليلة القادمة.

بينما كان النادبون المذهولين واقفين خارج القبر يترقبون رفع الحجر عن باب القبر، رأوا يسوع ينظر نحو السماء ويصلي (١١: ٤١ و٤٢). عندما انتهى يسوع من صلاته نادى بصوت عال: «لعازر هلم خارجاً» (١١: ٤٣). لا بد ان الهدوء قد ساد وبدأ كل شخص يرقب باب القبر. إن لم يحدث شيء فيعرفون بان يسوع لم يكن سليم العقل؛ ولكن إذا خرج لعازر من القبر يعلمون حقاً بانهم مع إنسان يملك سلطان أكبر مما رأوه من قبل.

خرج لعازر «الميت» (١١: ٤٤) من القبر، ملفوفاً بالأكفان كانت موضوعة عليه عند الدفن. وأوصى يسوع الذين كانوا قريبين من هناك قائلاً: «حلوه ودعوه يذهب» (١١: ٤٤). لقد عادت الحياة إلى لعازر، وبهذا كان يسوع يعلن مرة أخرى بانه كل ما ادعى ان يكون، وظهر مجد الله أكثر لمعاناً! وكانت النتيجة كما نتوقعها وهي ان الكثير من الذين رأوا هذه الاحداث آمنوا بيسوع في ذلك اليوم (١١: ٤٥).

الخبر السار ونحن

تساعدنا قصة يسوع عند قبر لعازر في مواجهة تخوفنا من الموت. بسبب ما فعله يسوع حينذاك وما زال يفعله اليوم لا يجب ان نتغاضى عن حقيقة الموت أو ننكرها لكي نكون سعداء في هذه الحياة. يجب ان نكون كمسيحيين غير هاربين من الموت، بل مواجهين له. لا نتظاهر بانه لا يأتينا، بل نعلن للعالم بان لدينا حلاً له. نرى هذا السلوك الجديد في المثالين التالين من رسائل بولس:

> فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح يسوع ربنا (رومية ٨: ٣٨ و٣٩).

> ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية» (١ كور ١٥: ٥٤ و٥٥).

الموت هو واقع الحياة. نحن شاكرين لأن لدى المسيحية الحل. حقيقة معرفتنا بان يسوع هو القيامة والحياة تسمح لنا بان نعيش بسلام وفرح في «عالم الواقع». عند مواجهة مخاوف الموت فقط يمكن ان يكون لنا فرح حقيقي في هذه الحياة.

اختار جون دوني الشاعر والمبشر الذي عاش في القرن السابع عشر ان ينام لفترة من الوقت في تابوت الموتى لكي يدرب عقله ونفسه على امور الحياة والموت. قد اختبرتُ شيئا مماثلا لذلك قبل عدة سنوات. إذ لم أجد وقتاً كافياً للدراسة والصلاة بسبب الازعاج المستمر والنشاطات حول مكتبي، أخبرت صديق لي بهذه المشكلة والذي كان يدير بيت الموتى بالمدينة. وبعد وقت قصير، قال لي بانه قد وجد حلاً لمشكلتي. تخيل دهشتي عندما أخذني إلى الطابق الثاني في بيت الموتى وأراني كيف كان يبني لي غرفة صغيرة للدراسة – كان ذلك في الركن الخلفي من مستودع توابيت الموتى! تلك كانت من أجمل العطايا التي تلقيتها على الاطلاق وأصبح هذا المكان الوحيد في المدينة الذي فيه يمكن ان أبتعد عن كل شيء لكي أدرس وأفكر وأصلي. (على كل حال، لا أحد يزعج الشخص الذي يكون في مستودع توابيت الموتى!) منذ ذلك الوقت

اصبحت أفكر عادة إذا ما كان يستحسن كتابة الوعظ في بيت الموتى، في ظل أصعب حقيقة الحياة. المرور بجوار حجرة التحنيط ومن خلال حجرة مليئة بتوابيت الموتى يعيد لذاكرتي ان عملي الرئيسي لم يكن مساعدة الناس على العيش حياة ممتعة، بل لاساعد الناس بأن يجدوا حياة حقيقية.
ليس لنزع كل الأحزان من قلوبهم، بل لأريهم الطريق إلى ما وراء الأحزان إلى القيامة. ليس لمساعدتهم في مواجهة الضغوط والإجهاد في العالم، بل إعدادهم للقاء إلههم (عاموس ٤: ١٢).

الخلاصة

هل قرأت كتاب قط أو شاهدت فلما شيقا جعلك تخاف أو تقلق؟ هل قرأت ذلك الكتاب أو شاهدت ذلك الفلم مرة أخرى؟ كيف كان رد فعلك في المرة الثانية؟ عندما أفعل ذلك، يمكن ان استريح في المرة الثانية وأنظر إلى مصايب البطل والمخاطر التي تواجهه بطريقة مختلفة، مطمئناً بان كل شيء سيكون على ما يرام.
عندما خرج لعازر من ذلك القبر الذي كان بالقرب من بيت عنيا، أظهر لنا كيف تكون نهايتنا. صحيح انه إن لم يرجع الرب في وقت قريب، فجميعنا سنواجه الموت. ولكن بما ان يسوع هو القيامة والحياة، فاننا نرى الموت بطريقة مختلفة مع ان أجسادنا ستوضع يوم ما في القبور، نعلم باننا سنقوم يوم ما من تلك القبور! ولكن الشيء الساخر هو انه عندما نؤمن بان يسوع هو الحل لمشكلة الموت، فحينئذ نكون مستعدين للحياة!

محبة

قالت طفلة صغيرة وهي تعانق دُميتها بذراعيها الصغيرتين وتنظر إلى أمها: «يا أماه، أني أحبها، وأحبها، وأحبها، ولكنها لم تحبني أبداً!» ما أصدق هذا الكلام على الناس الذين يحبهم الله، ويحبهم، ويحبهم، ولكنهم لا يحبونه أبداً!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧